

ولأنها هي التعبير الصحيح الجارى على قواعد اللغة وإن كانت مفرداتها فى تناول الجميع .

فلن تنفصل الفصحى إذن من المجتمع ، ولن تصير كلغة الكهان التى لا تتلى إلا فى المعبود ، فإن الشعب كله يفهمها ، ورقى الشعب يقربها إليه وقربه منها .

ليس عندنا فبرر إذن لتطعيم لغتنا الفصحى بأكثر ما نستطيع من العامية ، ولا أحد يزعم أن العامية كالفصحى ثراء وسعة ورمونة وموسيقية ، فالعامية فقيرة ، وليست بصالحة لتصوير المعاني الراقية أو خلجات النفوس ، فمن أراد التنفيس عما يجيش بين جوانحه من عواطف استمد من معين الفصحى الثرى التى لا يفيض ، وإذا احتاج جرت على لسانه كلمات من الفصحى لم يزورها أو يتكلفها .

على أن العامية تختلف باختلاف الأصقاع والأقاليم ، فعامية الصعيد تغاير بعض الناصرة عامية الشمال ، وعامية مصر تختلف عامية الشام وهكذا ، فإذا أضفنا إلى لغة الأدب أكثر ما نستطيع من العامية انفصم الرباط الوثيق الذى ينظم الأمة العربية ، وإذا أضفنا الوحدة التى ننشدها وهى ما زالت فى المهد .

ويم تسمى اللغة الجديدة ؟ وما خصائصها الميزة لها وهى أخلاط وأمشاج من فصيحى ، وعامية منبثقة منها ، ومن تركيبتها ، ومن أوروبية محرفة ، ومن أوروية غير محرفة دعا الأستاذ إلى اصطناعها فى المقال السابق ؟ ولستأ وجدنا يدعى أن لغة الكتابة عندنا تغاير لغة الخطاب ، فهذه الناصرة عامة فى اللغات كلها ، بيد أن الفرق عندنا أوضح وأبرز ؛ لطول المهد بالجهل ، والاستبداد ، وعجارية اللغة القومية بالتركية آتاك ، وبالإنجليزية والفرنسية آنا ، ولذا تقاربت اللغتان فى ربع القرن الحاضر لما ذاعت الثقافة ، وتسلمنا الحرية واعتزنا بالقومية .

ولنفرض جدلاً أن الأستاذ على حق فى رأيه ، ولنتخذ لغة الأدب خليطاً من العربية والعامية ، ثم ترقب قرناً واحداً ، فإذا عامية جديدة نشأت من هذه اللغة الجديدة ؛ لأن الشأن فى لغة الخطاب الليل إلى التيسير والتسهيل وعدم التحرز من الأخطاء ، فإذا فعل آتاك ؟ أم تؤمن بأن لغة الكتابة لا بد أن تتميز من لغة الحديث للمعاد ؟ أم ننشى لغة جديدة للكتابة ملتقة من تلك

البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف الأستاذ سمرة موسى

للاستاذ أحمد محمد الحوفى

— ٣ —

دعوتى للعامية — دعوتى للمحرف اللاتينية —

دعوتى إلى إلغاء الاحراب

— ١ —

« يجب ألا يكون للمجتمع لغتان إحداهما كلامية أى عامية ، والأخرى مكتوبة أى فصيحى كما هى حالنا الآن فى مصر وسائر الأقطار العربية ؛ لأن نتيجة هذه الحال أن اللغة المكتوبة تنفصل من المجتمع فتصبح كأنها لغة الكهان التى لا تتلى إلا فى المعبود ، وينقطع الاتصال الفسيولوجى بينها وبين المجتمع فلا تتطور ، ولهذا يجب أن نكون غايتهما توحيد لغتى الكلام والكتابة ، فتأخذ من العامية للكتابة أكثر ما نستطيع ، وتأخذ من الفصحى للكلام أكثر ما نستطيع حتى نصل إلى توحيدهما » ص ٤٧ .

لم يفتح المؤلف بالدعوة إلى استعمال الكلمات الأعجمية ، فعاد يحمل لهدم بنية اللغة العربية الشامخ ممولاً قد حمله غيره من قبل فتم ، وضاعت الدعوة السابقة سدى ، وستذهب دعوتى هذه أبديداً لا رجوع لها ولا صدق ، وأية دعوة أخطر على اللغة من اطراح الكلمات العربية واتخاذ العامية لغة فنية للشعر والكتابة والخطابة ؟ وما دامت العامية محرفة عن الفصحى فلم تفضل الدخيل على الأصيل ؟

ولم لا تكون الفصحى أحق بالاستعمال مادام القراء يفهمونها ؟ ونحن نرى فى عصرنا هذا أن كثيرين جداً من الأميين يسمعون الصحف وفهمونها ، ويصيخون إلى الخطب السياسية والدينية ويستوعبونها ويوصتونها إلى الأغاني الفصيحة ويحفظونها ، حتى إن النلمان الذين لم يجلسوا إلى معلم يرددون فى هذا العصر جلاماً حفظوا وهم لما قامون ، وليست اللغة الفصحى فى نظرى هى المحشوة بالغريب ، ولا المربوسة التراكيب ، ولا الخفية المجاز ،

اللغة التي اعتسفتها من الفصحى والعامية ومن هذه اللغة العامية الناشئة ؟

وما مصير تراثنا العظيم من قرآن وحديث وشعر وثر ؟
ميمصير أحاجي وألغازاً ولغة أثرية دارسة لا يفقهها إلا قلة
من يشغفون بدراسة الآثار القديمة شأن اللغة اليونانية واللاتينية ،
فهما أصل اللغات الأوروبية الحديثة ولكن لا يعرفها إلا الأقلون .
ربما رأى المؤلف أن الأوروبيين يترجمون روائع اليونان والرومان
إلى لغاتهم الحديثة فلنصنع صنيعهم فنترجم حينئذ القرآن والحديث
وروائع الشعر والنثر القديم إلى لغتنا الحديثة ، وأعتقد أن هذه
فكرة من الهوان بحيث لا يتجادل فيها قلنان .

— ٢ —

« وعندي أن بعض الميزات لا يقترحه عبد العزيز فهمي باشا
من اتخاذ بعض الحروف اللاتينية في كتابتنا يعود إلى أن هذه
الحروف تضمننا إلى مجموعة الأمم المتقدمة ، وتكسبنا عقلية
التمدنين » ص ١١٧

« والواقع أن اقتراح الخط اللاتيني هو وثبة إلى المستقبل ،
لو أننا عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر إلى مقام تركيا التي أغلقت
عليها هذا الخط أبواب ماضيها وفتح لها أبواب مستقبلها » ص ١٣٨
أما اصطناع الحروف اللاتينية في الخط العربي فإنه اقتراح
صرعه النقد ، فلا حاجة بي إلى ذكر مساوئ الوقت .

ولا أذكر أن في مصر مؤيداً آخر لهذا الاقتراح غير الأستاذ
سلامة موسى . والجديد في تأييده أن اصطناعنا الحروف اللاتينية
بضمننا إلى مجموعة الأمم المتقدمة ، ويكسبنا عقليتها ، ويطلق علينا
أبواب ماضيها ، ويفتح لنا أبواب مستقبلها كما حدث في تركيا .

ولو أن التمدن وكسب العقلية رهينان باستعمال خط الأمم
الراقية لسهل التمدن على كل أمة متخلفة عن ركب المدنية ، فإنا
عليها إلا أن تستعير حروف أمة أرق منها لتبلغ شأوها ، وتفكر
على غرارها ، حتى وإن اتفقت الحروف واختلفت اللغة وتباين
الناطق والمعنى !

ومعنى هذا أن جميع من يلبسون الملابس الأفريقية قد عمدوا ،
وأنهم يفكرون كما يفكر الأفريق . وما الغرابة في هذا القياس ،

والزى ألصق بالراء وأعظم تأثيراً في شخصيته من الحروف التي
يكتب بها بين الحين والحين ؟

لقد تجحزرت الأمة العربية ولم نصطنع حروف أمة أرق
منها ، وانقلبت أوروبا من عقالاتها مسترشدة بأعلام العرب وصوامم
ولشعاعهم ومع ذلك لم تتخذ حروفهم ، ووثبنا نحن منذ عصر
إسماعيل وثبات بدون حاجة إلى حروف اللاتين لتحفزنا إلى
الوثوب ، أو تجذبنا نحو المهدف للنصب . وهامى ذى اليابان
أنت بالأعاجيب في نهضتها على حدائث نشأتها ولم تسلف من أمة
أرق منها حروف كتابتها .

ولو أن الحروف تصنع العقلية لتساوت عقلية الأمم التي
تكتب بالحروف اللاتينية ، فليس المول إذن على الحروف ولكن
على الروح التي يستعمل الحروف .

ولم تنهض تركيا لأنها استبدلت بحروفها العربية حروفاً
لاتينية ، فقد حدث هذا الاستبدال بعد النهوض والاستقرار ،
على أنها أبدلت مستعاراً بمستعار .

— ٣ —

« وليس على التلميذ من حرج أن يقرأ فيرفع المفعول وينصب
الفاعل ما دام يفهم ما يقرأ ، أما في المدارس الثانوية فتشيع في
تعليم أقل ما يستطيع من قواعد النحو ، ولا نبالي بالإعراب الذي
أثبت الاختبار أنه لا فائدة منه بتاتا ، والوقف في أواخر الكلمات
أي إسكانها هو الخطة السديدة التي يجب أن تتبع »

« وقد قال هربرت سبنسر إنه لم يتعلم النحو قط ، وإنه
درس وألف في هذه اللغة دون أن يحتاج إلى دراسة النحو ،
ولا يمكن عريباً أن يقول مثل هذا القول عن لغته » ص ١٣٣
« واقتراح عبد العزيز فهمي باشا يحتاج أولاً إلى العمل بالناء
الإعراب » ص ١٣٨

وهذا تجديد آخر ، أي هدم آخر لهذه اللغة التي قاومت
الأعاصير أكثر من ألف عام ، وهي كالصخرة يتطم بها اللوج
فينحسر ، وتهال عليها مداول المدم قتل وتنكسر .

التجديد المخلص للغة العربية أن يلغى الإعراب منها فيرفع
للمفعول وينصب الفاعل مادام القارىء يفهم ما يقول ! ثم تبليغ

ثم تختلف في كيفية ذلك الثبوت ؟ » (١)

فالنحو في رأى الجرجاني ليس لصحة الشكل فقط ، بل وللتعبير الدقيق عن المعاني ، وللفهم الدقيق لهذه المعاني ، فهو إذن من صميم اللغة وجوهرها .

وأما الزعم بأنه لا يستطيع عربى أن يجيد لغته بدون تعلم النحو فيدحضه أن العرب — إلى أن خالطوا المعجم في الإسلام — كانوا يجيدون لغتهم غير مفتقرين إلى تعلم النحو ، وأن البارودى في هذا العصر أجاد اللغة فهما ، وأجاد الشعر نظماً ، ولم يتعلم النحو ، وذلك بكثرة القراءة والحفظ ، لأنهما أجدى على التعلم من قواعد النحو التى لا يصحها تطبيق متكرر .

استمع إلى ما يقوله الشيخ حسين الرصنى فى الوسيلة الأدبية عن البارودى وهو من أعرف الناس به : « محمود سائى البارودى لم يقرأ كتاباً فى فن من فنون العربية ، غير أنه لما بلغ سن الثمانيات وجد من طبعه ميلاً إلى قراءة الشعر وعمله ، فكان يستمع بعض من له دراسة وهو يقرأ بعض الدواوين ، أو يقرأ وهو يحضرته حتى تصود فى برهة سيرة هيئات التراكيب العربية فصار يقرأ ولا يكاد يلحن ... ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة ، واستتب جميع معانيها ، فأخذاً شريفها من خبيثها ، ثم جاء من صنعة الشعر اللاتق بالأمراء » .

وقد فطن ابن خلدون قبل ذلك إلى أن الطريقة المثلى فى تعليم اللغة الرأى وكثرة الحفظ والقراءة ، ، لينطبع لسان المتعلم وفكره على اللغة ، وقرر أن سكان الأمصار أشد إغراقاً فى اللحن من سكان البوادرى ؛ لأنهم لقنوا أول الأمر لغة ملحونة فاعوجت ألسنتهم واختلطت لغتهم ، فالتحقو وحده لا يكفى بل لابد من غاطلة الأعراب والتدرب على محادثتهم لأن اللغة ملكة والملاكات لا تكتسب إلا بالتكرار والارتياض والمران ، فقد كان العربى يحاكي أهله فى نطقهم وتعبيرهم كما يحاكي الطفل أهله فى النطق بالفردات والتراكيب ، وفى ذلك يقول ابن خلدون : « وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للرب بالطبع أى بالملكة الأولى التى أخذت عنهم ، ولم يأخذوها عن غيرهم » .

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٣ ،

الأستاذ فقال إن إسكان أواخر الكلمات هو الخطبة السديدة التى يجب أن تتبع ، والإسكان شئ ، والفوضى فى الشكل شئ آخر . ونحن نسأل الأستاذ : كيف يفهم القارى ما قرأ وقد نصب الفاعل ورفع المفعول ؟ وروح اللغة التى يقرؤها لا تطاوعه على هذا الفهم ، وذوق القارى نفسه ما دام قد فهم معنى ما قرأ لا يطاوعه على هذا الخلط ، بدليل أن العرب — قبل أن تستنيط القواعد من لغتهم — كانوا يرفعون الفاعل وينصبون المفعول بالسليقة ، لأن هذه الحركات فى أواخر الكلمات ذات دلالات معنوية على المواد ؛ وهذه سليقة يفهم توارثوها وتناقلوها كما يأخذ أبناؤنا فى هذا المهده عنا أوضاع لغتنا العامية .

ولذلك يقول عبد القاهر الجرجاني فى الرد على منكرى ضرورة النحو : « وأما زهدهم فى النحو واحتقارهم له ، أو إصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعهم فى ذلك أشنع من صنيعهم فى الذى تقدم ، وأشبه بأن يكون صدأ عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ؛ ذلك لأنهم لا يجيدون بدءاً من أن يمتثلوا بالحاجة إليه ، إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذى يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه هو الميار الذى لا يتبين نقصانه كلام ورجحانه حتى يمرض عليه ، والقياس الذى لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه ، وإلا من غلط فى الحقائق نفسه » .

ثم يقول مبيناً أن النحو نبراس لفهم المعنى بدقة : « وإذا نظرتم فى الصفة مثلاً ففرقتم أنها تتبع الموصوف ، وأن مثالها قولك : جادنى رجل ظريف ، ومررت بزيد الظريف ، هل ظننتم أن وراء ذلك علماً ؟ وأن ها هنا صفة تخصص وصفة وتبين ؟ وأن فائدة التخصيص غير فائدة التوضيح ، كما أن فائدة التبيين غير فائدة الإيهام ؟ وأن من الصفة صفة لا يكون فيها تخصيص ولا توضيح ، ولكن يؤتى بها مؤكدة كقولهم (أمس الدابر) ، وكقوله تعالى : (فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) ، وصفة يراد بها المدح والثناء ، كالصفات الجارية على اسم الله تعالى جده ؟ وهل عرقم الفرق بين الصفة والخبر وبين كل واحد منها وبين الحال ؟ وهل عرقم أن هذه الثلاثة تتفق فى أن كافها ثبوت المعنى للشئ »